٦١ أنتَ عندي كبعض ملائكتي

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

((ما من شاب يدعُ لذةَ الدنيا ولهوها ، ويستقبل بشبابه طاعة الله إلا أعطاه اللهُ أجر اثنين وسبعين صدِّيقاً ، ثم قال :

يقول الله تعالى :

أيها الشاب .. التارك شهوتَه لي .. المبتذل شبابهُ لي .. أنت عندي كبعض ملائكتي)) (١)

يصف الحقُّ سبحانه عباده ، وخاصة الشباب منهم بالعِفَّة والاستعفاف والبُعْد عن مواضع الشبهات ، ويصبرون عن شهواتهم ، فيقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَزْنُونَ .. ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان]

فالإنسان الذى كرَّمه الله وجعله خليفةً له فى الأرض أراد له الطُّهْر والكرامة ، وأنْ يسكن الدنيا على مقتضى قانون الله ، فلا يُدخِل فى عنصر الخلافة شيئاً يخالف هذا القانون ، لأن الله تعالى يريد أن يبنى المجتمع المؤمن على الطُّهر ، ويبنيه على عناية المُربِّى بالمُربَّى .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤ / ١٣٨) ، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال (١٥ / ح ٤٣١٠٦) .

فالحق - تبارك وتعالى - جعل له خليفةً فى الأرض لتظهر عليه سماتُ قدرتــه تعالــى وصفات كماله ، فالله تعالى قادر ، الله عالم ، الله حكيم ، الله غنىٌّ ، الله رحيم ، الله غفور .

وهــو ســبحانه يعطى من صفاته ويفيض منها على خَلْقه وخليفته فى أرضــه بعــضاً مــن هذه الصفات ، فيعطيك من قدرته قدرة ، ومن رحمته رحمة ، ومن غَنائه غِنىً ، لكن تظل الصفة فى يده تعالى ، إنْ شاء سلبها ، أَلاَ ترى القوىَّ قد يصير ضعيفاً ، والغنى قد يصير فقيراً .

ذلــك لــنعلم أن هذه الصفات ليستْ ذاتية فينا ، وأن هذه الهِبَات ليست أصــلاً عندنا ، إنما هى فَيْض من فيض الله ، وهِبَة من هِبَاته سبحانه ؛ لذلك علينا أنْ نستعملها وفق مراده تعالى ، فإنْ أعطاك ربُّك القدرةَ ، فإنما أفاض بهــا علــيك لتفيض أنت بها على غيرك ، أعطاك العلم لتنثره على الناس ، أعطاك الغنى لترعى حقَّ الفقير .

إذن : فالحــق - تبارك وتعالى - يريد من خليفته فى أرضه أنْ يكون جماعاً لصفات الكمال التى تُسعِد الخَلْق بآثار الخالق فيهم ، وهذه هى الخلافة الحقة .

فالحــق - تــبارك وتعالــى - يريد لخليفته فى أرضه أنْ يكون طاهراً شــريفاً كــريماً عزيزً ؛ لذلك وضع له من القوانين ما يكفل له هذه الغاية ، وأوَّل هذه القوانين وأهمها قانون التقاء الرجل والمرأة التقاءً سليماً فى وضح النهار ، لينتج عن هذا اللقاء نَسْل طاهر جدير بخلافة الله فى أرضه .

فــلا بُــدَّ أنْ لا يلتقى رجل وامرأة إلا على نور من الله ، وهدى من

شـــريعته الحكـــيمة ؛ لأنـــه - عزَّ وجلَّ - هو خالق الإنسان ، وهو عالم بما يُـــصلحه ، وهـــو خالـــق ذراته ، ويعلم كيف تنسجم هذه الذرات مع بعضها البعض ، وهو سبحانه خالق مَلَكات النفس ، ويعلم كيف تتعايش هذه المَلَكات ولا تتنافر .

فمن الطبيعى أنْ يضطرب الكون وتتصارع فيه مَلَكات البشر إنْ أردتَ أنْ تنشىء خليفة فى الكون على غير مراد الله وعلى غير مواصفات الحق ، وماذا تنتظر من هذا الخليفة إنْ جاء فى الظلام ؟

فلـــن تستقيمَ هذه المسألة إلا حين يأتى الخليفة وفق مواصفات ربه عزَّ وجَلَّ ، وأنْ يلتقىَ الزوجان على ما شرع الله فى وضح النهار ، لا أنْ يندسَّ كـــل مـــنهما علـــى الآخر فى ظلمة الإثم ، فيحدث المحظور الذى تختلط به الأنساب ، ويتفكك رباط المجتمع .

إن مـــن أقسى تجارب الحياة على المرء أنْ يشكَّ فى نِسْبة ولده إليه ، وأنْ تعتـــصره هـــذه الفكـــرة ، فـــيهمل ولده وفلذة كبده ، وينفق هنا وهناك ويحرمه ، على خلاف النسل الطاهر حيث يتلهَّف الأبُ على ولده ، ويجوع ليشبع ، ويتعرّى ليلبس .

فالحق سبحانه يريد النسل المحضون بالأبوين فى أُبوَّة صحيحة شرعية ، وأمومة صحيحة شرعية ، اجتمعا على نور الله .

ولـــك أن تُجرى مقارنة بين امرأة حملت سفاحاً ، وأخرى حملت حملاً شـــرعياً طاهراً ، ستجد الأولى تحمله على مَضَض وكُره ، وتود أن تتخلص مـــنه ، وهـــو جنـــين فى بطنها ، فإن تحاملت على نفسها إلى حين ولادته تخلصتْ منه فى ليلتها ، ولو بإلقائه على قارعة الطريق .

أمـــا صاحبة الحمل الشرعى فتتلهف على الولد وإن تأخر بعض الوقت صارت قلقة تدور بين الأطباء ، فإنْ أكرمها الله بالحمل طارت به فرحاً وفخراً وحافظـــت عليه فى مشْيها وحركاتها ونومها وقيامها إلى حين الوضع فتتحمل آلامه راضيةً ، ثم تحتضنه وترضعه وتعيش حياتها فى خدمته ورعايته .

فـــالله يـــريد أن يأتى خليفته فى أرضه من إخصاب طاهر على أعين الـــناس جميعاً ، وفى نور الله المعنوى ، يريد للزوج أن يأتى من الباب فى ضوء هذا النور ، لا أن يتلصصَ فى لظلام من باب الخدم .

لـــذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء]

الإنـــسان منا حين يُرزق بالولد أو البنت يطير به فرحاً ، ويُؤثره على نفـــسه ، ويُخرج اللقمة من فيه ليضعها في فم ولده ، ويسعى جاهداً ليُوفِّر له رفاهية العيش ، ويُؤمِّن له المستقبل المرْضي .

لكـــن هذا النظام التكافلي الذي جعله الحق سبحانه وتعالى عماداً تقوم عليـــه الحياة الأسرية سرعان ما ينهار من أساسه إذا ما دبَّ الشكُّ إلى قلب الأب فـــي نسبة هذا الولد إليه ، فتتحول حياته إلى جحيم لا يُطاق ، وصراع داخلي مرير لا يستطيع مواجهته أو النطق به ، لأنه طَعْنٌ في ذاته هو .

لـــذلك يحـــذرنا الحق تبارك وتعالى من هذه الجريمة النكراء ، ليحفظ علـــى الـــناس أنسابهم ، ويطمئن كلُّ أب إلى نسبة أبنائه إليه ، فيحنو عليهم ويرعاهم ويستعذب ألم الحياة ومتاعبها في سبيل راحتهم .

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ .. ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء]

وقد قال النبى ﷺ : ((مَن حام حول الحِمَى يوشك أن يرتع فيه)) (١)

فالحق سبحانه خالق الإنسان ــ وهو أعلم به ــ لا يريد له أن يقترب من المحظور ، لأن له بريقاً وجاذبية ، كثيراً ما يضعف الإنسان أمامها ، لذلك نهاه عن مجرد الاقتراب ، وفَرْق بين الفعل وقُربان الفعل ، فالمُحَرَّم المحظور هنا هو الفعل نفسه ، فلماذا إذن حرَّم الله الاقتراب وحذَّر منه ؟

نقول : لأن الله تعالى يريد أن يرحم عواطفك فى هذه المسألة بالذات ، مسألة الغريزة الجنسية ، وهى أقوى غرائز الإنسان ، فإن حُمْتَ حولها تُوشك أن تقعَ فيها ، فالابتعاد عنها وعن أسبابها أسلمُ لك .

وحينما تكلم العلماء عن مظاهر الشعور قسَّموها إلى ثلاث مراحل : الإدراك ، ثم الوجدان ، ثم النزوع .

فلو فرضنا أنك تسير فى بستان ، فرأيتَ به وردة جميلة ، فلحظة أن نظرت إليها ، هذا يُسمَّى [الإدراك] لأنك أدركتَ وجودها بحاسة البصر ، ولم يمنعك أحدٌ من النظر إليها والتمتُّع بجمالها .

فإذا ما أعجبتك وراقك منظرُها واستقرَّ فى نفسك حُبُّها ، هذا يُسمَّى

---

(١) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٠٥١) ، وكذا مسلم فى صحيحه (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير ، ولفظه : ((الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه)) .

[الـــوجدان] أى : الانفعال الداخلى لمَا رأيتَ ، فإذا مددتَ يدك لتقطفها فهذا [نزوع] أى : عمل فعل .

ففى أىٍّ مرحلة من هذه المراحل الثلاث يتحكم الشرع ؟

الـــشرع يـــتحكم فى مرحلة النزوع ، ولا يمنعك من الإدراك ، أو من الوجدان ، إلا فى هذه المسألة [مسألة الغريزة الجنسية] فلا يمكن فيها فَصْل النـــزوع عـــن الـــوجدان ، ولا الوجدان عن الإدراك ، فهى مراحل ملتحمة ومتشابكة ، بحيث لا تَقْوَى النفسُ البشرية على الفَصْل بينها .

فإذا رأى الرجل امرأة جميلة ، فإن هذه الرؤية سرعان ما تُولد إعجاباً وميلاً ثم عشقاً وغريزة عنيفة تدعوه أن تمتدَّ يده ويتولد النزوع الذي نخافه ، وهـــنا إمـــا أن ينزع ويُلبى نداء غريزته ، فيقع فى المحرم ، وإما أن يعفَّ ويظل يعانى مرارة الحرمان .

والخالـــق ســـبحانه أعلم بطبيعة خَلْقه ، وبما يدور ويختلج داخلهم من أحاســـيس ومشاعر ، لذلك لم يُحرِّم الزنا فحسب ، بل حرَّم كل ما يؤدى إليه بدايـــة من النظر ، فقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ .. ﴿٣٠﴾ [النور]

لأنـــك لو أدركتَ وجدتَ ، ولو وجدتَ لَنزعتَ ، فإن أخذتَ حظك من النـــزوع أفـــسدتَ أعراض الناس ، وإنْ عففتَ عِشْتَ مكبوتاً تعانى عِشقاً لن تناله ، وليس لك صبر عنه .

إذن : الأسلم لك وللمجتمع ، والأحفظ للأعراض وللحُرمات أن تغضَّ

بصرك عن محارم الناس ، فترحم أعراضهم ، وترحم نفسك .

لكن هذه الحقيقة كثيراً ما تغيب عن الأذهان ، فيغشّ الإنسان نفسه بالاختلاط المُحرَّم ، وإذا ما سُئلَ ادعى البراءة وحُسْن النية ، وأخذ من صلة الزمالة أو القرابة أو الجوار ذريعةً للمخالطة والمعاشرة ، وهو لا يدرى أنه واهمٌ فى هذا كله ، وأن خالقه سبحانه أدرى به وأعلم بحاله ، وما أمره بغضّ بصره إلا لمَا يترتب عليه من مفاسد ومضارّ ، وإما تعود على المجتمع ، أو عليه نفسه .

لذلك قال ﷺ : ((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس ، مَنْ تركها من مخافتى أبدلتُه إيماناً يجد حلاوته فى قلبه)) [1] .

فمسألة غَضّ البصر التى يأمرنا بها ربُّنا عزَّ وجلَّ هى صمام الأمان الذى يحمينا من الانزلاق فى هذه الجرائم البشعة ويسدّ الطريق دونها ، فهذا الاحتياط وهذه الحدود التى وضعها الله عز وجل وألزمنا بها ، إنما هى لمنع جريمة الزنا البشعة ؛ لأن النظرَ أولُ وسائل الزنا ، وهو البريدُ لما بعده .

ألا ترى شوقى رحمه الله حين تكلم عن مراحل الغَزَل ، قال :

نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلامٌ فَكَلامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءٌ

فالأمر بغَضّ البصر ليسدّ منافذ فساد الأعراض ، ومنع أسباب تلوث النسل ؛ ليأتى الخليفةُ لله فى الأرض طاهراً فى مجتمع طاهر نظيف شريف لا يتعالى فيه أحدٌ على أحد ، بأن له نسباً وشرفاً ، والآخر لا نسبَ له .

---

(١) الحاكم في مستدركه (٤ / ٣١٤) عن حذيفة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في تلخيصه : ((إسحاق واهٍ ، وعبد الرحمن هو الواسطي ضعَّفوه)) .

ذلك ليطمئنَ كلُّ إنسان على أن مَنْ يليه فى الخلافة من أبناء أو أحفاد ، جـاءوا من طريق شرعىٍّ شريف ، فيجتهد كلُّ إنسان فى أنْ يُنشِّئَ أطفاله تنـشئةً فيها شفقة وحنان ورحمة ، لأنه واثقٌ أنه ولده ليس مدسوساً عليه ، وأغلـبُ الظـنِّ أن الذين يهملون أطفالهم ولا يُراعون مصالحهم يشكُون فى نسبهم إليهم .

ولا يصل المجتمع إلى هذا الطُّهْر إلا إذا ضُمنَتْ له الصيانةُ الكافية ، لئلا تشرُدَ منه غرائز الجنس ، فيتعدى كل نظر على ما لا يحل له ، لأن النظر بريدٌ إلى القلوب والقلوب بريدٌ إلى الجنس ، فلا يعفّ الفرج إلا بعفاف النظر .

وحفـظ الفروج يكون بأن نقصرها على ما أحله اللهُ وشرعه فلا أنيله لغيـر محلل له سواء كان من الرجل أو المرأة ؛ لأن رؤيته تهيج إلى الشر والفتنة.

﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ .. ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور] يعنى : أطهر وأسلم وأدعى لراحة الـنفس ؛ لأنه إما أن ينزع فيرتكب مُحرماً ، ويلج فى أعراض الناس ، وإما ألاَّ ينزع فيكدر نفسه ، ويؤلمها بالصبر على ما لا تطيق .

ومـن هنا نفهم مراده سبحانه من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ .. ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسـراء] ولـم يَقُلْ : لا تزنوا ؛ لأن لهذه الجريمة مقدمات تؤدى إلـيها، فاحـذر أن تجعل نفسك على مقربة منها ؛ لأن مَنْ حامَ حول الحمى يوشـك أن يقـع فيه ، ودَعْكَ ممَّنْ ينادون بالاختلاط والإباحية ؛ لأن الباطل مهما علا ، ومهما كَثُرَ أتباعه فلن يكون حقاً فى يوم من الأيام .

واحذر ما يشيع على الألسنة من قولهم هى بنت عمه ، وهو ابن خالها، وهما تربَّيَا فى بيت واحد ، إلى آخر هذه المقولات الباطلة التى لا تغير من وجه الحرام شيئاً ، فطالما أن الفتاة تحلّ لك ، فلا يجوز لك الخلوة بها .

فى الحديث النبوى: ((لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا كان الشيطانُ ثالثهما))[1]

إذن : ما حرَّم الإسلام النظر لمجرد النظر ، وما حرَّم الخُلوة فى ذاتها، ولكن حرَّمهما ؛ لأنهما من دوافع الزنا وأسبابه .

فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء] أبلغُ فى التحريم وأحوطُ وأسلمُ من : لا تزنوا .

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى فى تحريم الخمر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة]

هذا النصُّ الكريم جعلنا نبتعد عن الأماكن التى فيها الخمور ، فلا نجلس مع مَنْ يشربونها ، ولا نتاجر فيها ، حتى لا نقعَ فى المعصية ، فإذا رأيتَ مكاناً فيه خمر فابتعد عنه فى الحال ، حتى لا يُغريك منظرُ الخمر وشاربها بأن تفعلَ مثله ، والحقُّ جلَّ جلاله يقول فى المحرمات : ﴿ لا تقربوا ﴾ أى : اجتنبوا .. أى : لا تحوموا حولها ؛ لأنها إذا كانت غائبة عنك فلا تخطر على بالك فلا تقع فيها .

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١ / ١١٤) من حديث ابن عمر ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأشار إليه الترمذي في سننه (١١٧١) وأخرجه موصولا مرفوعا (٢١٦٥) ، وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

واجتنابها يكون بألاَّ تُوجد معه فى مكان واحد يخايلك ويشاغلك ويتمثل لـــك ، فعـــندما تكون مثلاً فى منطقة الذين يشربون الخمر يقول لك الحق : اجتنـــبها . أى : لا تـــذهب إليها ؛ لأن الخمر عندما توجد أمامك وترى مَنْ يـــشربون وهـــم مستريحون مسرورون ، فقد تشربها ، ولكن عندما تجتنب الخمر ومجالسها فأنت لا تقع فى براثنها وإغرائها .

ولذلك قلنا : إن الاجتناب أبلغ من التحريم ، ولكن طلع علينا مَنْ يقول: لـــيس هـــناك نـــصٌّ فى التحريم ؛ لأنه لم يقُلْ : حُرِّمت عليكم ، فهى مجرد موعظة ونصيحة .

ونقول : لو فهم معنى ﴿ فَٱجْتَنِبُوه .. ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة] لَعَلِمَ أنها أقوى فى التحريم من : حُرِّمت عليكم ؛ لأن معنى حُرِّمت عليكم الخمر يعنى : لا تشربوها . أما (فَٱجْتَنِبُوه) فيعنى : ابتعدوا عنها كلية شرباً ، أو بَيْعاً ، أو شرْاء ، أو نقلاً ، أو حتى الجلوس فى مجالسها .

والحق سبحانه يقول عن الزنا : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإســراء] والفاحـــشة هى الشيء الذى اشتدَّ قُبْحه ، وقد جعل الحق سبحانه الزنا فاحشةً ؛ لأنه سبحانه وتعالى حينما خلق الزوجين الذكر والأنثى ، وقدَّر أن يكـــون منهما التناسلُ والتكاثر قدَّر لهما أصولاً يلتقيان عليها ، ومظلة لا يتم الزواج إلا تحتها ، ولم يترك هذه المسألة مشاعاً يأتيها مَنْ يأتيها ؛ ليحفظ للناس الأنسابَ ، ويحمى طهارةَ النسْل ، فيطمئن كلُّ إنسان إلى سلامة نسبه ونسب أولاده .

والمراد من الأصول التى يلتقى عليها الزوجان عقد القران الذى يجمعهما بكلمة الله وعلى سنة رسوله ﷺ ، وهَبْ أن لك بنتاً بلغت سنَّ الزواج ، وعلمتَ أن شاباً ينظر إليها ، أو يحاول الاقتراب منها أو ما شابه ذلك ، ماذا سيكون موقفك ؟ لا شكَّ أن نارَ الغيرة ستشتعل بداخلك ، وربما تعرضتَ لهذا الشاب ، وأقمتَ الدنيا ولم تُقعدها .

لكن ، إذا ما طرقَ هذا الشابُّ بابك ، وتقدَّم لخطبة ابنتك فسوف تقابله بالترحاب ، وتسعد به ، وتدعو الأهل ، وتُقيم الزينات والأفراح . إذن : فما الذى حدث ؟ وما الذى تغيَّر ؟ وما الفرق بين الأولى والثانية ؟ الفرق بينهما هو الفرق بين الحلال والحرام ؛ لذلك قيل : ((جدعَ الحلالُ أنفَ الغيرة)) .

فالذى يغار على بناته من لمسة الهواء تراه عند الزواج يجهز ابنته ، ويُسلمها بيده إلى زوجها ، لأنهما التقيا على كلمة الله ، هذه الكلمة المقدسة التى تفعل فى النفوس الأعاجيب .

مجرد أن يقول وليُّ الزوجة : زوَّجتك ابنتى . ويقول الزوج : وأنا قبلتُ. تنزل هذه الكلمة على القلوب بَرْداً وسلاماً ، وتُحدث فيها انبساطاً وانشراحاً ، لأن لهذه الكلمة المقدسة عملاً فى التكوين الذاتى للإنسان ، ولها أثرٌ فى انسجام ذراته ، وفى كل قطرة من دمه

ومن آثار كلمة الله التى يلتقى عليها الزوجان ، أنها تُحدث سيالاً بينهما ، هو سيالُ الاستقبال الحسن ، وعدم الضجر ، وعدم الغيرة والشراسة ، فيلتقيان على خير ما يكون اللقاء .

هكذا يلتقى الزوجان فى راحة وهدوء نفسى ويسكن كلٌّ منهما للآخر ، لأن ذراتهما انسجمتْ وتآلفتْ ، ويفرح الأهل ويسعد الجميع ، وصدق رسول

الله ﷺ حين قال فى وصيته بالنساء : ((إنما استحللتم فُرُوجَهنَّ بكلمة الله))[1]

وهذه الكلمة من الله تعالى الذى خلق الإنسان ، ويعلم ما يُصلحه ، ولك أنْ تتصوَّرَ الحال إنْ تمَّ هذا اللقاء فيما حرَّم الله ، وبدون هذه الكلمة وما يحدث فيه من تنافر الذرات وعدم انسجام ونَكَد ، ومرارة لا تنتهى ، ما بقيت فيهما أنفاسُ الحياة .

لذلك سماه القرآنُ فاحشةً ، والدليلُ على فُحْشه أن الموصوم به يحب ألاَّ يُعرف ، وأنْ تظلَّ جرائمه خلسة من المجتمع ، وأن الذى يقترف هذه الفاحشة يكره أنْ تُفعلَ في محارمه ، ويكفيها فحشاً أن الله تعالى سماها فاحشةً ، وشرع لها حداً يُقام على مرتكبها علانيةً أمام أعين الجميع .

وقد عالج رسول الله ﷺ هذا الداء حينما أتاه شابٌّ يشتكى ضعفه أمام غريزته الجنسية ، ويقول له : يا رسول الله ، ائذن لى فى الزنا ، والنبى ﷺ أتى بقضايا دينية عامة للجميع ، ولكن حين يعالج داءات المجتمع يعالج كل إنسان بما يناسبه وعلى حَسْب ما فيه من داءات الضعف أمام شهوات نفسه .

فكيف استقبل رسولُ الله ﷺ هذا الشابَّ الذى جاءه يقول : يا رسول الله إننى أصلى وأصوم ، وأفعل كلَّ أوامر الدين إلا أننى لا أقدر على مقاومة هذه الغريزة ؟

هل نهره واعتبره شاذاً وأغلق الباب فى وجهه ؟ لا والله ، بل اعتبره

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج ــ باب حجة النبي ﷺ (١٩) وفيه : ((فاتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرُشكم أحداً تكرهونه ، فإنْ فعلنَ ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهنَّ عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)) .

مريضاً جاء يطلب العلاج بعد أن اعترف بمرضه والاعتراف بالمرض أولى خطوات الشفاء والعافية .

هـذا الشاب ما جاء لرسول الله إلا وهو كارهٌ لمرضه ، وأول ظاهرة فى العافية أنْ تعترفَ بمرضك ، ولا تتكبَّر عليه ، فإنْ تكبَّرت عليه استفحل واستعصى على العلاج .

اعتبر النبى ﷺ شكوى هذا الشاب ظاهرةً صحية فى إيمانه لأنه ما جاء يشكو إلا وهو كاره لهذه الجريمة ويجد لها شيئاً فى نفسه، وانظر كيف عالجه ﷺ

انظر إلى منهج الدعوة ، كيف يكون ؟ وكيف استلَّ رسول الله ﷺ الداء من نفس هذا الشاب ؟ فلم يزجره ولم ينهره ولم يُؤذه ، بل أخذه وربّت على على كتفه فى لطف ولين ، ثم أجلسه وقال له : ((يا أخا العرب ، أتحبّ هذا لأمك ؟ فانتفض الشاب وتغيَّر وجهه ، وقال : لا يا رسول الله ، جُعلت فداك فقال : أتحبه لأختك ؟ أتحبه لزوجتك ؟ أتحبه لبناتك ؟ والشاب يقول فى كل مـرَّة : لا يا رسول الله ، جُعلت فداك . ثم قال ﷺ : وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، ولا لأخواتهم ، ولا لزوجاتهم ، ولا لبناتهم)) ثم وضع يده الشريفة على صدر هذا الشاب ودعا له : ((اللهم نَقِّ صدره ، وحَصِّن فَرْجَهُ)) .

وانـصرف الشاب وهو يقول : لقد خرجتُ من عند رسول الله وليس أكـره عـندى مـن الزنا ، ووالله ما هممتُ بشيء من ذلك إلا وذكرتُ أمى وأختى وزوجتى وبناتى [1] .

---

(١) أخـرجه أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٦ ، ٢٥٧) والطبراني في معجمه الكبير (٨ / ١٩٠ ، ٢١٥) من حديث أبي أمامة ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال : ((اللهم اغفر ذنبه

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى عن سبيل الفاحشة : ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء] والسبيل هو الطريق المُوصِّل لغاية ، وغايةُ الحياة أننا مُستخلفون فى الأرض ، خلقنا الله لعمارتها والسعى فيها بما يُسعدنا جميعاً ، ويعود علينا بالخيـــر والصلاح ، فإذا ضلَّ الإنسانُ وانحرف عمَّا رسمه له ربُّه أفسد هذه الخلافة ، وأشقى الدنيا كلها بدل أنْ يُسعدها .

وأعتقد أن ما نشاهده الآن فى بيئات الانحلال من الانحراف ، وما امتدّ مـــنهم إلى بلاد الإسلام من التفزيع والرعب يجعلنا نؤمن بأن الزنا فعلاً ساء سبيلاً ، وساء طريقاً ومسلكاً ، يقضى على سلامة المجتمع وأمنه وسعادته .

ويكفـــى أنك إذا خرجتَ من بيتك فى مهمة تستلزم المبيت تأخذ جميع لوازمك وأدواتك الشخصية ، وتخاف من شبح العدوى الذى يطاردك فى كل مكـــان ، فى الحجرة التى تدخلها ، وفى السرير الذى تنام عليه ، وفى دورة المـــياه التـــى تستعملها ، الجميع فى رعب وفى هلع ، والإيدز ينتشر انتشارَ النار فى الهشيم ، وأصبح لا يَسلم منه حتى الأسوياء الأطهار .

ومـــا حدث هذا الفزع إلا نتيجةً لخروج الإنسان عن منهج الله خروجاً جعـــل هـــذه المـــسألة فوضى لا ضابطَ لها ، فأحدث اللهُ لهم من الأمراض والـــبلايا بقـــدر فُجـــورهم وعصيانهم ، وما داموا لم يأتوا بالحُسْنى فليأتوا راغمين مُفزَّعين .

فالعالم كله الآن يباشر مشروعات عفة وطهارة ، لا عن إيمان بشرع الله ، ولكن عن خوف وهلع من أمراض شتى لا ترحم ، ولا تفرق بين واحد وآخر

، وطهّر قلبه ، وحصّن فرجه)) فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء .

إذن : الــزنا فاحــشة وساء سبيلاً ، وها هى الأحداث والوقائع تثبت صدق هذه الآية ، وتثبت أن أىَّ خروج من الخلق عن منهج الخالق لن يكون وراءه إلا نكدُ الدنيا قبل ما ينتظرهم فى الآخرة .

لذلك يتوعد الحقُّ سبحانه وتعالى مَنْ يخالف هذا المنهج ويريد أنْ يفسدَ شــرف الخلافــة التى يريدها اللهُ طاهرة ، ويُدنس النسل ، ويُوغر الصدور بالأحقــاد والعــداوات ، ويزرع الشكَّ فى نفوس الخَلْق ، وجرائم العرض لا يقتــصر ضــررها على العداوات الشخصية ، إنما تتعدى هذه إلى الإضرار بالمجتمع كله .

وانظر إلى الإيدز الذى يهدد المجتمعات الآن ، وهو ناتجٌ عن الالتقاء غير الشرعى ، وخطر الإيدز لا يقتصر على طرفيه إنما يتعداهما إلى الغير . إذن: من صالح المجتمع كله أن نقيم حدَّ الزنا حتى لا يستشرىَ هذا الداء .

ونعجــب من هؤلاء الذين يهاجمون شرع الله فى مسألة الحدود ، حين تقضى برجم الزانى المُحْصَن حتى الموت ، ألاَ يعلم هؤلاء أننا نُضحى بواحد لنحفظ سلامة الملايين فى صحة وعافية ؟ ألاَ يرونَ ما يحدث مثلاً فى وباء الطاعــون الذى أعجز العلماء حتى الآن ، ولم يجدوا له علاجاً ، وكيف أن الــشرع أمــرنا إنْ نزل الطاعونُ بأرض ألاَّ نذهب إليها ، وأمر مَنْ فيها ألاَّ يخرجوا منها [1] ، لماذا ؟ لنحصرَ هذا الوباء حتى لا يستشرىَ بين الناس .

كذلك الحال فى مسألة الزنا ؛ لأن الزانى لا يقتصر شرُّه عليه وحده ،

---

(١) عن أسامة بن زيد قال قال النبي ﷺ في الطاعون : ((هو عذابٌ أو رجز أرسله الله على طائفة من بني إسرائيل ، أو ناس كانوا قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها علــيه ، وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فراراً)) . أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٢٨) وكذا مسلم (٢٢١٨) كتاب السلام باب الطاعون (٣٢) .

إنمـــا يتعدَّى شرُّه إلى المجتمع كله ، مع مراعاة أن الشرع فرَّق بين الزانى المُحْصَن وغير المُحْصَن ، وكذلك الزانية ، ففى الإحصان تتعدد الماءات فى المكان الواحد ؛ وقد سُئلنا فى سان فرانسيسكو : لماذا أبحتُم تعدد الزوجات ، ولـــم تبيحوا تعدد الأزواج ؟ هذا منهم على سبيل قياس الرجل على المرأة : لماذا لا تتزوج المرأة وتجمع بين أربعة رجال ؟

قلتُ : اسألوهم ، أليس عندهم أماكن يستريح فيها الشباب جنسياً يعنى : بيوت للدعارة ؟ قالوا : نعم فى بعض الولايات ، قلت : فبماذا احتطتُم لصحة المجتمع وسلامته ؟ قالوا : نُجرى عليهم كشفاً دورياً كل أسبوع ، قلت : وهل هذا الكشف الدورى يستوعب الجميع ؟ أم أنه مجرد عينات عشوائية .

إذن : مـــن الممكن أن يتسرَّب المرضُ بين هؤلاء الشباب ، وهَبْ أنـــك أجريتَ على إحداهن الكشف يوم الأحد مثلاً ، وفى يوم الاثنين جاءها المـــرض ، فإلـــى كم واحد سينتقل المرض إلى أن يأتى الأحد القادم ؟ فهذه مسألة لا تستطيع السيطرة فيها على الداء .

ثـــم أتُجـــرون هذه الفحوصات على المتزوجين والمتزوجات ؟ وهل اكتشفتم بينهم مثل هذه الأمراض ؟ قالوا : لا . لم يحدث أن اكتشفنا هذا بين المتزوجين .

قلـــت : إذن كان عليكم أن تنتبهوا إلى سبب هذه الداءات ، وأنها تأتى مـــن تعـــدُّد مـــاءات الـــرجال فى المكان الواحد ؛ لأن لكل ماء سياله ، وله ميكروبات تتصارع ، إن اجتمعتْ فى المكان الواحد ينشأ منها المرض .

لكـــن حين يكون للزوجة زوجٌ واحد ، فلن نرى مثل هذه الداءات فى

المجـــتمع ، ومن هنا يأتى دور الوازع الدينى ، فإن فُقد الوازع الدينى فلا بُدَّ من الوازع الحسىِّ ليزجر مثل هؤلاء ، ويُوقفهم عند حدود الله رغماً عنهم ، حتى وإن لم يكونوا يؤمنون بها .

إذن : هـــذه أقضية ومشاكل وداءات حدثت للناس بقدر ما أحدثوا من الفجور ، وبقدر ما انتهكوا من حرمات الله ، وانظر مثلاً لمن يُضطر للسفر إلـــى مثل هذه البلاد ، كم يكون حذراً مُفزَّعاً حين يقيم مثلاً فى فندق ، فيأخذ أدواتـــه الشخصية ، ويخاف أن يستعمل أشياء غيره ، ويحرص على نظافة المكان وتغيير الفراش قبل أن ينام عليه .. الخ كل هذه الاحتياطات .

فالـــشرع حين يأمر بقتل الزانى أو الزانية إنما فعل ذلك ليسلم المجتمع بأسْره ، لذلك منع الحق سبحانه الرأفة بالزانى والزانية ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ .. ۝ ﴾ [النور]

فالـــرأفة لا تكون فى حدود الله ، ارأفوا بهم فى مسائلكم الخاصة فيما بيـــنكم وعجـــيبٌ أن تدَّعوا الرأفة فى مسائل الحدود وأنتم من ناحية أخرى تُضربون وتسرقون أموال الناس ، وتنتهكون حُرماتهم ، وتثيرون بينهم الفتنة والحروب فأين الرأفة إذن ؟

إذن : لا مجالَ للرحمة وللرأفة فى حدود الله ، فلسْنا أرحمَ بالخلق من الخالق ، فلا تأخذكم بهم رأفة ، لأن الرأفة قد تُغرى بالذنب ، فنحن بالعقوبة نحمـــى المجـــتمع مـــن أن تنتشر فيه الجرائم ، فلو أخذتكم الرحمة فى هذه اللحظة فأنتم تشجعون الجريمة .

وإذا كنتم تريدون الرأفة والرحمة حقاً بهذا المجتمع وبأفراده ، فلتلزموا

أمـــر الحـــق ســـبحانه : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور]

فبعد أن حدَّثنا الحق سبحانه عن مسألة حفظ الفروج ، ودعا إلى الحفاظ علـــى طهـــارة الأنساب ، أراد أن يتكلم عن هؤلاء الرجال والنساء الذين لم يتيـــسَّر لهـــم أمـــر الزواج ، ذلك ليعالج الموضوع من شتى نواحيه ؛ لأن المـــشرِّع لا بدَّ أن يستولى بالتشريع على كل ثغرات الحياة ، فلا يعالج جانباً ويترك الآخر .

والأيامـــى جمع أيِّم ، والأيِّم من الرجال مَنْ لا زوجةَ له ، والأيم من النـــساء مَنْ لا زوجَ لها ، والمراد أمر أولياء الأمور ومَن عندهم رجال ليس لهم زوجات ، أو نساء ليس لهن أزواج : عَجِّلوا بزواج هؤلاء ، ويسِّروا لهم هذه المسألة ، ولا تتشددوا فى نفقات الزواج حتى تعفّوا أبناءكم وبناتكم ، وإذا لم تعينوهم فلا أقلَّ من عدم التشدد والمغالاة .

وفى الحديث الشريف : ((إذا جاءكم مَنْ ترضونَ دينه وخلقه فزوِّجوه، إلاَّ تفعلوا تكُنْ فتنة فى الأرض وفساد كبير)) [1] .

ومع ذلك ففى مجتمعاتنا الكثير من العادات والتقاليد التى تعرقل زواج الشباب ، أخطرها المغالاة فى المهور وفى النفقات ، والنظر إلى المظاهر ..

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٨٤) وابن ماجة في سننه (١٩٦٧) من حديث أبي هريـــرة رضي الله عنه ، ورجح الترمذي إرساله ، ثم أخرجه (١٠٨٥) من حديث أبي حاتم المزني وحسَّنه .

إلـــخ ، وكأن الحق تبارك وتعالى يقول لأولياء الأمور : يسّروا للشباب أمور الالتقاء الحلال ، ومَهِّدوا لهم سبيلَ الإعفاف .

وقد أعطانا القرآنُ نموذجاً لمَا ينبغى أن يكون عليه وليُّ الأمر ، فقال تعالـــى عـــن سيدنا شعيب عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ .. ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص]

ذلـــك لأن موسى عليه السلام سيكون أجيراً عنده ، وربما لا يتسامى إلـــى أنْ يطلـــب يد ابنته ؛ لذلك عرضها عليه ، وخطبه لها ، وشجَّعه على الإقـــبال على زواجها ، فأزال عنه حياء التردد ، وهكذا يجب أن يكون أبو الفتاة إنْ وجدِ لابنته كفؤاً ، فلا يتردد فى إعفافها .

وفـــى الأمـــثال نقول : (اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك) ؛ ذلك لأن كبرياء الأب يمنعه أن يعرضَ ابنته على شاب فيه كلُّ صفات الزوج الصالح ـــ وإنْ كان القلة يفعلون ذلك ـــ وهذه الحكمة من الأب فى أمر زواج ابنته تحلُّ لنا إشكالات كثيرة ، فكثيراً ما نجد الشاب سوىَّ الدين ، سوىَّ الأخلاق ، لكـــن مركزه الاجتماعى ـــ كما نقول ـــ دون مستوى البنت وأهلها ، فيتهيَّب أن يتقدَّم لها فيُرفض .

وفى هذه الحالة ، على الأب أنْ يُجرِّئَ الشاب على التقدُّم ، وأن يُلمِّح له بالقبول إن تقدَّم لابنته ، كأنْ يقول له : لماذا لم تتزوج يا ولد حتى الآن ، وألف بنت تتمناك ؟ أو غير ذلك من عبارات التشجيع .

أما أن نرتقى إلى مستوى التصريح كسيدنا شعيب ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ .. ﴿٢٧﴾ ﴾ [القـــصص] فهذا شيء آخر ، وأدب

عَالٍ من العارض ، ومن المعروض عليه ، وفى مجتمعاتنا كثيرٌ من الشباب والفتيات ينتظرون هذه الجُرْأة ، وهذا التشجيع من أولياء أمور البنات .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ .. ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور]

ففـــى حالة إذا لم ننكح الأيامى ولم نُعنهم على الزواج ولم يقدروا هم على القيام بنفقاته يصف لهم الحق سبحانه العلاجَ المناسب وهو الاستعفاف ، وقد طلب الله تعالى من المجتمع الإسلامى ــ سواء تمثَّل فى أولياء الأمور أو فـــى المجتمع العام ــ أن ينهضَ بمسألة الأيامى ، وأنْ يُعينهم على الزواج ، فإنْ لم يَقُم المجتمع بدوره ، ولم تكُنْ لهؤلاء الأيامى قدرةٌ ذاتية على الزواج فليستعفف كلٌّ منهم حتى يُغنيهم الله .

أى : بـــأن يحاول كلٌّ منهم العفاف ، ويطلبه ويبحث عن أسبابه ، بل يجاهد أنْ يكون عفيفاً ، وأول أسباب العفاف أنْ يغضَّ بصره حين يرى ، فلا يـــوجد لـــه مُهـــيِّج ومثير ، فإنْ وجد فى نفسه فتوة وقوة ، فعليه أن يُلجمها ويضعفها بالوسائل الشرعية ، كما قال النبى ﷺ : ((يا معشر الشباب ، من اســـتطاع منكم الباءةَ ــ يعنى : نفقات الحياة الزوجية ــ فليتزوج ، ومَنْ لم يَجد فعليه بالصوم ، فإنه له وجاءٌ [1])) [2] .

---

(١) الـــوجاء : هو أن تُضرب الخصيتان ضربة شديدة تُذهب شهوةَ الجماع وينزل منزلة الخَصْي . وقال ابن منظور في (اللسان ــ مادة : وجأ) أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٦٥) ومسلم في صحيحه (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود .

والصوم يعمل على انكسار هذه الشهوة ، ويهدى من شراسة الغريزة ؛ ذلك لأنه يأكل فقط ما يُقيم أوْدَهُ ، ولا يبقى فى بدنه ما يثير الشهوة ، كما جاء فى الحديث الشريف : ((بحَسْب ابن آدم لُقيْمات يُقمْنَ صلْبه)) [1] .

أو : أن يُفــرِّغ الــشاب نفسه للعمل النافع المفيد الذى يشغله ويستنفد جهــده وطاقــته ، التى إنْ لم تُصرف فى الخير صُرِفَتْ فى الشر ، وبالعمل يثبت الشاب ذاته ويثق بنفسه ، ويكتسب الحلال الذى يُشجعه مع الأيام على الزواج وتحمُّل مسئولياته .

وقد أعطانا الحق سبحانه مثلاً لعبد من عباده الذين عصموا أنفسهم من الوقوع فى هذه الفحشاء ، فحدَّثنا الحق سبحانه عن ذلك النبى الشاب يوسف عليه السلام ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف]

فيوسف عليه السلام راودتْه سيدة القصر عن نفسه ، ومن قبل كان يوسف يخدمها ، وكانت تنظر إليه كطفل ، أما بعد أن بلغ أشُدَّه فقد اختلف الأمر ، وهو لن يستطيع الفكاك ؛ لأنه فى بيتها وهى مُتمكِّنة منه ، فهى سيدة القصر.

فالأمــر مجموعٌ عليه من عدة جهات ، فهو قد تربَّى فى بيتها ، وهى التى تتلطف وترقّ معه ، وفَهِمَ هو مرادها .

---

(١) أخــرجه الإمــام أحمد في مسنده (٤ / ١٣٢) والترمذي في سننه (٢٣٨٠) عن المقدام بن معد يكرب وتمامه : ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمنَ صلبه ، فإنْ كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه)).

وامـــرأة العزيـــز قامـــت بأكثـــر من إغلاق لأكثر من باب ، فقصورُ العظمـــاء بها أكثر من باب ، وأنت لا تدخل على العظيم من هؤلاء فى بيته لـــتجده فـــى استقبالك بعد أول باب ، بل يجتاز الإنسانُ أكثرَ من باب ليلقى العظـــيم الذى جاء ليقابله ، فامرأة العزيز قد غلَّقتْ الأبواب ؛ لأن مَنْ يفعل الأمـــر القبيح يعلم قُبْحَ ما يفعل ، ويحاول أنْ يستر فعله ، وهى قد حاولتْ ذلك بعيداً عن مَنْ يعملون أو يعيشون فى القصر ، وحدثتْ المراودة وأخذتْ وقتاً ، لكنه فيما يبدو لم يستجب لها .

﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ .. ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف] أى : أنها انتقلت من مرحلة المراودة إلى مرحلة الوضوح فى طلب الفعل ، بأنْ قالت : تهيأتُ لك ، وكان ردّ يوسف : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ .. ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف] .

والمَعاذ هو مَنْ تستعيذ به ، وأنت لا تستعيذ إلا إذا خارتْ أسبابك أمام الحـــدث الذى تمرُّ به ، علَّكَ تجد مَنْ ينجدك ، فكأن المسألة قد عزَّتْ عليه ، فلم يجد مَعَاذاً إلا الله .

ولا أحـــدَ قادرٌ على أنْ يتصرفَ هكذا إلا مَنْ حرسه اللهُ بما أعطاه له من الحكمة والعلم ، وجعله قادراً على التمييز بين الحلال والحرام .

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف]

وأعطانا هذا القولُ معنيين اثنين :

الأول : أنه لم يوافق على طلبها بعد أنْ أوضحتْ ما تريد .

الثانـــى : أنـــه طلب المعونة من الله ، وهو سبحانه مَنْ أنجاه من كيد إخـــوته ونجَّاه من الجُبِّ ، وهيأ له أفضلَ مكان فى مصر ليحيا فيه ، ومنحه العلم والحكمة مع بلوغه لأشُدِّه .

وبعد كل هذا ، أيستقبل كلَّ هذا الكرم بالمعصية ؟ طبعاً لا .

أو : أنه قال ﴿ أَحْسَنَ مَثْوَايَ .. ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف] ليُذكِّر امرأة العزيز بـــأن لها زوجاً ، وأن هذا الزوج قد أحسن ليوسف حين قال لها ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا .. ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف]

لا تأتى الصعوبة فقط من أنها تدعوه لنفسها ، بل الصعوبة تزداد سوءً ؛ لأن لهـــا زوجـــاً ، هذا الزوج قد طلب منها أن تُكرم يوسف ، وتختار له مكانَ إقامة يليق بابنه ، ولا يمكن أن يستقبل ذلك بالجحود والخيانة .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف]

الحق سبحانه يريد أن يُوضِّح لنا أن يوسفَ كان طبيعياً ، وهو قد بلغ أشُـــدَّهُ ونُـــضْجه ، ولولا أنْ رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ، ولو نظرتَ إلى كل أبطال القصة تجدهم تضافروا على أن يوسف لم يحدث منه شيء .

فيوسف نفسه قال : ﴿ رَاوَدتُّنِي عَن نَّفْسِي .. ﴿٢٦﴾ ﴾ [يوسف]

وامـــرأة العزيـــز نفـــسها قالت مُصدقة لما قال : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ .. ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف] وقالت : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا

رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ .. ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف]

والنسوة اللاتى دَعتْهُنَّ امرأةُ العزيز ليشاهدوا جماله وليعذروها قُلْنَ ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف] ، وقد قُلْنَ فيما بَعْد ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ .. ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف]

والعزيز نفسه أدرك ما وقعتْ فيه امرأته ، فقال بعد ظهور براءة يوسف بعد شهادة شاهد من أهلها : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف]

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف]

فكلاهما حاول الوصول إلى الباب قبل الآخر ، وتسابقا فى هذا الاستباق ، وهذا يدلُّ على أنها لحقتْ بيوسف عند الباب الأخير ، وهى قد استبقتْ مع يوسف إلى الأبواب كلها حتى الباب لأخير ؛ لأنها تريد أنْ تغلقَ الباب لتسدَّ أمامه المنفذ الأخير ، وهذا الاستباق يختلف باختلاف الفاعل ، فهى تريده عن نفسه ، وهو يريد الفرار من الموقف ، ثم قدَّتْ قميصه من دُبُر .

وهذا دليلٌ على أنه قد سبقها إلى الباب ، فشدَّته من قميصه من الخلف، وتمزق القميص فى يدها .

وهنا حدثتْ المفاجأة ، وهى ظهور زوجها عزيز مصر أمامهما وصار المشهد ثلاثياً : امرأة العزيز ، ويوسف ، وزوجها . وهنا ألقتْ المرأةُ الاتهامَ على يوسف عليه السلام فى شكل سؤال تبريرى للهروب من تبعية الطلب ، وإلقاء التُهم على يوسف .

﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا .. ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف] ، ثم حددتْ العقاب ﴿ إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف] ، وهنا قال يوسف عليه السلام مُدافعاً عن نفسه : ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴿٢٦﴾ ﴾ [يوسف]

وهنا وجد عزيز مصر نفسه بين قولين مختلفين ، قولها هى باتهام يوسف وقوله هو باتهامها ، ولا بدَّ أنْ يأتى بمَنْ يفصل بين القولين ، وأن تكون له دقةُ استقبال وفَهْم الأحداث .

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يوسف]

وعندما أيقن عزيزُ مصر براءة يوسف قال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف]

وبهذا القول من الزوج أنهى الحق سبحانه هذا الموقف عند هذا الحدِّ ،

الـــذى جعل عزيز مصر يُقرُّ أن امرأته قد أخطأتْ ، ويطلب من يوسف أن يُعرضَ عن هذا الأمر ليكتمه .

وهذا يُبيِّن لنا سياسة بعض من أهل الجاه مع بيوتهم ، وهو أمرٌ نشاهده فى عصرنا أيضاً ، فنجد الرجل ذا الجاه وهو يتأبَّى أنْ يرى أهله فى خطيئة ويتأبَّـــى أكثر من ذلك ، فيرفض أن يرى الغيرُ أهله فى مثل هذه الخطيئة ، ويحـــاول كتمان الأمر في نفسه ، فيكفيه ما حدث له من مهانة الموقف ، ولا يريد أنْ يشمتَ به خصومه أو أعداؤه .

لكـــن الخبر شاع فى المدينة ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف]

قَـــوْل النسوة هذا لم يَكُنْ غضبه للحق ، ولا تعصُّباً للفضيلة ، ولكنها الرغبةُ للنكاية بامرأة العزيز ، وفضحاً لضلال الذى أقامتْ فيه امرأة العزيز وأردْنَ أيضاً أنْ يُنزلنَ امرأة العزيز عن كبريائها وينشرْن فضيحتها ، فأرَدْنَ أنْ تـــصير مُـــضغة فى الأفواه لأنها راودتْ فَتَاها وخادمها عن نفسه ، وهو بالنسبة لها فى أدنى منزلة ، وتلك فضيحة مُزْرية مُشينة .

ولذلك يقول الحق سبحانه بعد ذلك ما يفضح مقصدهن : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف]

وهُنَّ حين آذيْنَ امرأة العزيز بتداول خبر مراودتها له عن نفسه تخيَّلْنَ له صورة ما من الحُسْن ، لكنهنَّ حين رأيْنَهُ فاقتْ حقيقته المرئية كل صورة تخيَّلْنها عنه ، فحدث لهُنَّ انبهار ، فذهلوا عما فى أيديهم ، فقطعتْ كلٌّ منهن يدها بالسكين التى أعطتْها لها امرأةُ العزيز لتقطيع الفاكهة .

﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف]

فَهُنَّ قد نزَّهْنَ صاحب تلك الصورة عن حدوث منكر أو فاحشة بينه وبين امرأة العزيز ، أو أن يوسف لا بُدَّ أن يكون قد خرج عن صورة أرقى من صورة الإنس التى يعرفْنها ، فقُلْنَ : لا بُدَّ أنه مَلَكٌ كريم .

ومعنى قولهن أن يوسف هو الصورة العليا فى الجمال التى لا يُوجد لها مثيلٌ فى البشر [1] .

وهنا تقول امرأة العزيز : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف]

قالت ذلك بجراءة مَنْ رأتْ تأثير رؤيتهنَّ ليوسف وأعلنتْ أنه [استعصم]

وهذا يعنى أنه قد تكلَّف المشقة فى حجز نفسه عن الفعل ، وهو قولٌ

(١) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((أُعطي يوسف وأمه شطر الحُسْن)) أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٢٨٦) والحاكم في مستدركه (٢ / ٥٧٠) وأورد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٣٢) عن ابن مسعود قال : كان وجه يوسف مثل البرق ، وكانت المرأة إذا أتتْ لحاجة ستر وجهه مخافةَ أنْ تُفتتن به ، وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني .

يثبت أن رجولةَ يوسف غيرُ ناقصة ، فقد جاهد نفسه ليكبتها عن الفعل .

بل إنها تصدر الحكم عليها إنْ لم يوافقها فيما تريده من فعل الفاحشة ، فتُعلن للنسوة أنه إنْ لم يُطعْها فيما تريد فلسوْفَ تسجنه ، وتُصغِّر من شأنه لإذلاله وإهانته .

أما النسوة للاتى سمعنها ، فقد طمعتْ كلٌّ منهنَّ أن تطرد امرأةُ العزيز يوسفَ من القصر ، حتى تنفرد أيٌّ منهنَّ به ؛ ولذلك يُورد لنا الحق سبحانه قَوْل يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف]

ولعلَّ أكثر من واحدة قد نظرتْ إليه فى محاولة لاستمالته وللعيون والانفعالات وقَسمات الوجه تعبيرٌ أبلغ من تعبير العبارات ، وقد تكون إشاراتُ عيونهن قد دلَّتْ يوسفَ على المراد الذى تطلبه كلُّ واحدة منهن ، وفى مثل هذه الاجتماعات تلعب لغةُ العيون دوراً هاماً .

فيوسف عليه السلام ، السجن أفضل وأحبُّ إليه من أن يوافق امرأة العزيز على فعل الفحشاء ، أو يوافق النسوة على دعوتهنَّ له أنْ يُحرِّرَ نفسه من السجن بأنْ يستجيبَ لها ، ثم يخرج إليهن من القصر بعد ذلك .

ولكن يوسف عليه السلام دعا ربه ، فقال ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف] ، فيوسف أراد أنْ يدعو ربه باسم الربوبية اعترافاً بفضله سبحانه ؛ لأنه هو جلَّ وعلا مَنْ ربَّاه وتعهده ، وهو هنا يدعوه باسم الربوبية ألاَّ يتخلى عنه فى هذا الموقف .

فيوسف عليه السلام يعرف أنه من البشر ، وإنْ لم يصرف اللهُ عنه كيدهُنَّ لاستجاب لغوايتهن ، ولأصبح من الجاهلين الذين لا يلتفتون إلى عواقب الأمور ، وعلى الرغم من أن السجن أمرٌ كريهٌ ، إلا أنه قد فضَّله على معصية خالقه ، ولأنه لجأ إلى المُرَبِّى الأول ، لتأتى الاستجابةُ منه سبحانه : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف]

وهكذا تفضَّل عليه الله الذى خلقه وتولَّى تربيته وحمايته ، فصرف عنه كيدهُنَّ ، الذى تمثَّل فى دعوتهن له أنْ يستسلم لمَا دعتْه إليه امرأة العزيز ، ثم غوايتهن له بالتلميح دون التصريح .

تلك الغواية التى تمثلتْ فى قوْل الملك بعد ذلك : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ .. ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف] ، وهكذا أنجاه الله من مَكْر النسوة ، وهو جلَّ وعلا له مطلق السمع ومطلق العلم ، ولا يخفى عليه شيء ، ويستجيب لأهل الصدق فى الدعاء .

وقد رفض يوسفُ الخروجَ من السجن إلا بعد أنْ يُحقق الملك فى قضيته لتظهر براءته ، فقال للساقى : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف]

وهكذا حرص يوسفُ على ألاَّ يستجيب لمَنْ جاء يُخلِّصه من عذاب السجن الذى هو فيه ، إلا إذا برئتْ ساحته ، وظهرتْ براءته ، فقد يكون من المحتمل أنهم ستروها عن أذن الملك .

وأراد يوسف عليه السلام بذلك أن يحقق الملك فى ذلك الأمر مع هؤلاء النسوة اللاتى قَطَّعن أيديهنّ ، ودعوْنَهُ إلى الفحشاء ، واكتفى يوسف بالإشارة إلى ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف]

ويُخفى هذا القول فى طيَّاته ما قالتْه النسوة من قبل ليوسف بضرورة طاعة امرأة العزيز في طلبها للفحشاء .

وهكذا نجد القصص القرآني وهو يعطينا العبرة التي تخدمنا في واقع الحياة فليست تلك القصص للتسلية بل هي للعبرة التي تخدمنا في قضايا الحياة .

وبراءة ساحة أيِّ إنسان هو أمر مهم ، كي تزول أيُّ ريبة من الإنسان قبل أن يُسند إليه أيُّ عمل ، وهكذا طلب يوسف عليه السلام إبراء ساحته ، حتى لا يقولنَّ قائل في وشاية أو إشاعة ((همزاً أو لمزاً)) : أليس هذا يوسف صاحب الحكاية مع امرأة العزيز ، وهو مَنْ راودته عن نفسه ؟

وها هو رسولنا ﷺ يقول : ((عجبتُ لصبر أخي يوسف وكرمه ــ والله يغفر له ــ حيث أُرسلَ إليه ليُستفتى في الرؤيا ، وإنْ كنتُ أنا لم أفعل حتى أخرج ، وعجبتُ من صبره وكرمه ــ والله يغفر له ــ أُتيَ ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ، ولو كنتُ أنا لَبادرتُ الباب ، ولكنه أحبَّ أن يكون له العذر)) [1] .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٦٤٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٤٠) : ((فيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك)) ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٤٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن عباس .

وشـــاء نبيـــنا ﷺ أن يُوضّح لنا مكانة يوسف من الصبر وعزة النفس والنزاهة والكرامة ، فقال ﷺ : ((إن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكـــريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . قال : لو لبثتُ في السجن مـــا لبثَ ، ثم جاءني الرسول أجبتُ ثم قرأ ﷺ : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف])) [1] .

وهكذا بيَّن لنا الرسول ﷺ مكانة يوسف من الصبر والنزاهة ، وخشيته أنْ يخرج من السجن فَيُشار إليه : هذا مَنْ راود امرأة سيده .

وكـــان أنْ اســـتدعى الملـــكُ النسوةَ ، ونحن نعلم أن المراودةَ الأولى ليوســـف كانت من امرأة العزيز واستعصم يوسف ، ثم دَعَتْ هي النسوة إلى مجلسها ، وقطَّعنَ أيديهن حين فُوجئن بجمال يوسف عليه السلام ، وصدرت منهن إشارات ودعوات إثارة وانفعال .

﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ .. ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف] فهُنَّ لم يذكرنَ مسألة مراودتهنّ له ، وكان الأمر المهم هو إبراء ساحة يوسف عند الملك .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٣٣٢) ، والترمذي في سننه (٣١١٦) ، وقال : ((حديث حسن)) وكذا أخرجه الحاكم في مستدركه (٢ / ٣٤٦) كلهم من حديث أبـــي هريرة . قال الحاكم : ((هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة)) وسكت عنه الذهبي .

وقــولهن ﴿ حَـٰشَ لِلَّهِ ﴾ [يوسـف ٥١] أي : نُنزِّه يوسف عن هذا ، وتنزيهنا ليوسف أمرٌ من الله .

وهــنا تــدخلتْ امرأة العزيز : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف]

أي : أنهــا أقــرَّت بأنه لم يَعُدْ هناك مجالٌ للستر ، ووضح الحقُّ بعد خفاء ، وظهرتْ حصَّة الحق من حصَّة الباطل ، ولا مفرَّ من الاعتراف بما حدث ، ولا بُدَّ من تبرئة يوسف ، وهو في الحقيقة بريءٌ ، بل هو في القمة مــن العفــة والطهارة والنزاهة والاستعفاف عن الحرام رغم جماله وشبابه وفُتوته .